Issue 6352-6353 Saturday-Sunday 18-19/5/2019
الزمان – السنة الثانية والعشرون العدد 6352 - 6353 السبت – الاحد 14 من رمضان 1440 هـ 18-19 من آيار (مايو) 2019م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/22. UK

شاعر يرقد بالقرب من قبور ماركس واليساريين في لندن

بلند الحيدري خفقة الإبداع وريادة ما قبل الحداثة

عبد الحسين شعبان
بيروت

إلى بلند
نولدُ في الغربة أم نموتُ؟
هل تعرف الأشجار والبيوت؟
وجوهنا
وإننا
نولد كل ساعة
نموت كل ساعة
وحولنا تولد أو تموت
الناس والأشجار والبيوت
سعدي يوسف

حين أهداني ديوانه الأخير " دروب في المنفى" كتب لي: ... فأنا المسيح يجرّ في المنفى صليبه" ، والفقرة هي مقطع من قصيدة " غريب على الخليج" لبدر شاكر السيّاب، وعلّق بلند قائلاً: وهكذا ننتقل من منفى إلى منفى، واستعدنا المقطع الذي قبله وأكملنا :

"حتى الظلام– هناك أجمل، فهو يحتضن العراق،
وا حسرتاه، متى أنام؟
فأحسّ أن على الوسادة
من ليلك طلّاً فيه عطرك يا عراق
بين القرى المتهيّبات خطاي والمدن الغريبة
غنيّت تربتك الحبيبة
وحملتها ، فأنا المسيح يجرّ في المنفى صليبه".

وردّدت عليه وأنا أتصفّح الديوان بين يدي:

أهرب من منفى إلى منفى
وأنا لا أحمل في صدري إلّا رمسي ...
لكنني إنْ متُّ هنا في الغربة .. في المنفى
إنْ متُّ غداً فسيحمل شاهد قبري:
هذا وطني
هذا من أجلك يا وطني..

(من ديوان دروب في المنفى)

وبالمناسبة فهذه الأبيات وضعت على شاهد قبره في مقبرة هاي غيت في لندن بالقرب من قبر كارل ماركس وقبور عدد من المنفيين اليساريين العراقيين.

ودار بيننا حديث حول الغربة والوطن والهويّة واستذكر بلند، الشاعر اليمني عبدالله البردوني وردّد على مسامعي:

بلادي من يدي طاغٍ
إلى أطغى إلى أجفى
ومن سجن إلى سجن
ومن منفى إلى منفى
ومن مستعمر بـــاد
إلى مُستعمر أخفى
ومن وحش إلى وحشين

وهي النّاقة العجفا ولعلّ ذلك ما كان ينطبق على حالنا حيث أكلت المنافي أكثر من نصف عمرنا البيولوجي، وما يقارب ثلثي عمرنا الإبداعي، وكنتُ قد اتصلت به بعد وصولي إلى لندن العام 1990 وكان هو قد استقرّ فيها بعد سنوات ثلاثة عشر عاشها في بيروت، لكن منفى بلند الفعلي كان قبل هذا التاريخ، حين تمرّد على مجتمعه ، وعاش حالة من الاغتراب، فترك الدراسة في سن مبكّرة وهجر العائلة، ليس هذا فحسب، بل انشقّ على القصيدة العمودية التي عاشها الشعر العربي لمئات السنين، باحثاً عن معنى جديد وشكل جديد ورسالة جديدة.

أسّس بلند مع ثلّة من أصحابه جماعة أدبية فنّية أطلق عليها اسم " جماعة الوقت الضائع" وهو في بداية مشواره الإبداعي، لتكون مقهىً وملتقىً ومبيتاً أحياناً كما يقول، وأصدرت " الجماعة" مجلة بالاسم ذاته، وقد أغلقتها الشرطة حين اعتبرتها ملاذاً للمتشرّدين من أمثال الشاعر حسين مردان. في فتوّته مارس بلند أنواع الرياضة ورغب أن يكون ملاكماً مقلّداً شقيقه صفاء الذي كان هو الآخر شاعراً ومتمرداً، حيث نصب خيمة سوداء في بساتين ديالى (بعقوبة) وقرر العيش فيها تحدّياً للتقاليد الاجتماعية السائدة، وكان صفاء قد انشغل بالشعر واللغة العربية وهو ما فعله بلند أيضاً، علماً بأنهما ينتميان إلى عائلة برجوازية حسب توصيفات تلك الأيام، فوالده أكرم كان ضابطاً بالجيش العراقي وتوفي العام 1945 ووالدته فاطمة ابراهيم أفندي الحيدري التي كان والدها يشغل منصب شيخ الإسلام في اسطنبول (توفيت العام 1942) وخاله داود كان وزيراً للعدل، لكن بلند قرر إحراجه وإحراج العائلة حين نصب طاولة منهكة وكرسياً بالياً ليعمل " كاتب عرائض" (عرضحالجي) أمام الوزارة، وفي الوقت الذي كان عدد من أفراد عائلته يتولى مناصب رسمية ، كان عدد آخر منهم قد انخرطوا في الحركة الشيوعية من أبرزهم جمال الحيدري الذي قتل تحت التعذيب وشقيقه مهيب الطين" لبلند الحيدري وثانيها– ديوان "عاشقة الليل" لنازك الملائكة، وثالثها– ديوان "أزهار ذابلة" لبدر شاكر السيّاب، وفتحت هذه الدواوين صفحة جديدة في تاريخ الشعر العراقي والعربي . وقد كتب عن مجموعته الأولى بانبهار الأديب اللبناني مارون عبود في العام 1947 يقول: " أشهد أن ديوان بلند الحيدري– خفقة الطين، أفضل ما قرأت من دواوين الشباب بالشعر، ولعلّه الشاعر الذي تحلم به بغداد".

وقد ظلّ بلند يخفق كل حياته في الضياع والمنفى والغربة، وضمّت مجموعته الأخيرة "دروب المنفى" 1996خفقته الوداعية وحملت قصيدته الأخيرة في المجموعة "ما بين ذراعي أمي" حنينه الأول إلى "البئر الأولى" حسب رواية جبرا ابراهيم جبرا، وهو حنين يشبه الارتعاش حين يقابل الموت الذي بقي هاجساً قائماً في جميع مراحل حياته وإبداعه:

ذات مساء ماتت أمي
وعلى مدّ ذراعيها استلقيت وكانت عينيّ
فانوساً أعمى يحملني من تيهٍ
ولتيهٍ يبحث عني
في حيٍّ موبوء .. في حي
أخشى أن لا يبقى حتى غبش

خصوصاً يوم تكريم اثنين من الشعراء المبدعين هما الشابان: نسيمة الراوي من المغرب ومحمد المغربي من تونس، بمنحهما "جائزة بلند الحيدري" بصفته أحد من رموز الحداثة الشعرية، فقد كان بلند حداثياً قبل ما نعرفه عن زمن الحداثة، حيث يعتبر أحد أركان الحركة التجديدية في الشعر العربي الحديث، ولعلّ ديوانه "خفقة الطين" الصادر في العام 1946 هو الأول الذي يؤرخ لحركة الشعر الحر والتي أعقبت الحرب العالمية الأولى، وامتدّت إلى الفنون الأخرى، أما أركانها فهي "المربع الذهبي"، فإضافة إلى ركنها الأول بلند كانت الأركان الثلاثة نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي. وكان بدر شاكر السيّاب في العام 1953قد اعترف بذلك قائلاً: " كان هناك ثلاثة دواوين صدرت في العراق أولها – ديوان " خفقة الطين.وإذا كانت القصائد الأولى أقرب إلى التجريب، فإنه بدا أكثر عمقاً وشمولاً بارتفاع الموجة الجديدة من الشعر الحر، بحيث أصبح جزءًا من مدرسة أخذت تحفر طريقها بثقة أكبر وتحدٍّ أشد في مواجهة القصيدة الكلاسيكية، وخصوصاً بعد أن أصدر ديوانه الثاني "أغاني المدينة الميتة" في العام 1951 وأعاد نشره في العام 1957 مع قصائد أخرى"، وفي العام 1961 نشر مجموعة بعنوان" جئتم مع الفجر" ضمّت قصائد ما بعد ثورة 14تموز (يوليو) 1958 وهو ما يوحي منها عنوانها. وبعد تجربة سجنه نشر مجموعة جديدة (1965) تحت اسم " خطوات في الغربة" ثم " رحلة الحروف الصفر" 1968 و"أغاني الحارس المُتعب" 1971 والتي نالت جائزة "اتحاد الكتاب اللبنانيين"، ثم نشر في العام 1972بعد عودته إلى بغداد، مجموعة بعنوان "حوار الأبعاد الأربعة"، وبعد منفاه اللندني نشر في العام 1984 إلى بيروت مع تحياتي" وفي العام 1990 أبواب إلى البيت الضيق"، وكان آخر مجموعة له " دروب في المنفى" 1996.لقيت الحركة التجديدية في الشعر تشجيع ودعم وتأييد بعض المبدعين الذين كان يُنظر إليهم كمرجعية للحداثة وكان من أبرزهم في العراق الناقد والأديب الفلسطيني جبرا ابراهيم جبرا، الذي يقول عنه بلند في حديث مع الكاتب (1991) أنه أكثر من استقبل نتاجهم الإبداعي بإعجاب وتشجيع، حيث كان يرى في بلند وبدر شاكر السيّاب شاعرين مجدّدين وإن اختلف أسلوبهما في كتابة القصيدة الحديثة ، وكان يؤكد على بدر الاستمرار في أسلوبه ما دامت الصور تومي كل واحدة منها إلى الأخرى، فبدر " عين وذاكرة" مرهفة مليئة بالصور، ويعترف بلند أن مفرداته كانت "أغنى من مفرداتي". أما عن شعر بلند فيقول جبرا ابراهيم جبرا في العام 1951 أنه " شعر صُور، فهو كالفنان الحاذق لا يلقي بالألوان على لوحته جزافاً ولا يرسل الخطوط عليها أنّى اتجهت، إنه يورد تفاصيله مرتبطة متماسكة، فتنمو القصيدة بين يديه نموّاً من الداخل ككل الأعضاء الحيّة، وإذا بها وحدة متكاملة لها أول ووسط ونهاية كما يقول أرسطو في وصف العمل الفني الصحيح، ويضيف جبرا: إن شعر بلند كالصور ذات الأعماق، فيها أضواء وظلال، فيها القريب وفيها البعيد وكلّها تستهدف وحدة الموضوع وقوته وبروز جماله.

□□□

كم كنتُ سعيداً حين اطّلعت على الكتاب الذي أصدره المنتدى الثقافي العربي – الأفريقي والموسوم " بلند الحيدري– اغتراب الورد"، وأشرف على إعداده عيسى مخلوف، منشورات جمعية المحيط الثقافية، أصيلة ، المغرب، ط/1 1997وذلك لمناسبة الذكرى الأولى لرحيله، والكتاب هو أقرب إلى استفتاء جديد على شعر بلند الحيدري بعد رحيله واعتراف بريادتّه. وقد تضمّن إضافة إلى كلمتيّ التقديم لمحمد بن عيسى والمدخل لعيسى مخلوف 7 دراسات معمّقة لعبده وازن ومحي الدين اللّاذقاني وصبحي حديدي ورفعت سلام وعابد خزندار وبنعيسى أبو همالة وأسعد عرابي، إضافة إلى شهادات وآراء عددها 22لشعراء ونقّاد بينهم أدونيس وسعدي يوسف ونزار قباني وأحمد عبد المعطي حجازي وأدوارد الخرّاط والطيّب صالح ومحمد سعيد الصكّار وعباس بيضون وضياء العزاوي وجابر عصفور وآخرين. وجاء في كلمة محمد بن عيسى، الوزير والدبلوماسي والمثقف وصاحب مبادرة مهرجان أصيلة عن بلند " لم يكن بلند الحيدري شاعراً مجدّداً فقط، وإنما كان أيضاً من قلّة من المبدعين الذين تآخى في حياتهم القول والفعل. كان ينتصر للقيم الإنسانية الرفيعة، وكان مثالاً لها، وهذا ما جعله في صراع دائم مع عالم لا يستجيب لرؤيته وحساسيته الشفافة المرهفة..."

وسبب غبطتي عند اطلاعي على كتاب " اغتراب الورد" يعود إلى الشهادة الجماعية بريادتّه بلند، الذي لم تُنصف تجربته في حياته من جانب الكثير من النقّاد، باستثناءات محدودة، وضاعت أحياناً في سجال التراتبية الزمنية والأسبقية والقصيدة الموزونة أو النثرية والخروج على الوزن والقافية، على عكس تجارب السياب وعبد الوهاب البياتي ونازك الملائكة، وفي بعض هذا التقييم دور للسياسة التي تُعلي وتُخفض، فبموجبها مُنح عدد من الشعراء ألقاباً بعضهم لا يستحقها وذيّلت أو قدّمت أسماءهم بألقاب من خارج دائرة الشعر والإبداع، والأمر لا يختص بالشعر، بل بعموم مفردات الثقافة والإبداع. وحسب تفسير سعدي يوسف فإن الأمر يعود إلى " الرافعة السياسية"، ففي حين كان السيّاب والبياتي في دائرة اليسار، وكانت نازك في الدائرة القومية العربية، كان بلند في "زاويته الوجودية الجمالية" القلقة والمتوتّرة يبحث عن "فردانية" و"أناه" وسط صخب الشعارات وضجيج الأصوات، لأنه كان يريد صوته الخاص لإحساسه بالفجيعة والتشتّت والفراغ، في إطار نزعته التشاؤمية والأسى الذي انطوى عليه شعره، يضاف إلى ذلك إن بلند لم تسوّقه مؤسسة، وهو كذلك لم يسوّق نفسه، بل لم يكن يبالي بمثل تلك التصنيفات والأوصاف والصفات، وكان يكفيه أنه مبدع وله صوته الخاص وكبرياؤه المتميّز. وحين كان يُسأل بلند عن الريادة والأولوية كان يجيب بشيء من عدم الاكتراث وكأن الأمر لا يعنيه، ويردّد أحياناً لا يحتاج الأمر إلى كل هذا التحبير، وبقدر ما أغفلت أو أهملت تجربته ودوره الريادي فقد عومل في سنوات اغترابه، سواء في لبنان وعلى امتداد الوطن العربي، بما يستحقه من مكانة وتقدير، أما شموخه الذي كان يتعامل به فهو مستقى من اسمه الذي يعني باللغة الكردية "شامخ" كصاحب الشأن ذاته.

يتبع

من اليمين احمد مطر ،بلند الحيدري، نزار قباني ادونيس ، سعدي يوسف

نكتة من سنة 1943

مواطن بريطاني اقتحم موكب رئيس الوزراء ونستون تشيرشل وهتف في وجهه قائلا (انت غبي احمق)
فاعتقلت الشرطة المواطن وقادته للسجن ....
البرلمان استدعي تشيرشل وسأله احد الاعضاء الغاضبين ..هل يجوز ان تعتقل الشرطة مواطناً وتضعه في السجن لمجرد انه قام بسبك ؟
اجاب تشيرشل بان الشرطة لم تعتقله لانه سبني ....
بل لانه افشي سراً من اسرار الدولة
ضجت القاعة بالضحك والتصفيق للسياسي الداهية تشرشل ...
هل يوجد تشرشل في دولنا العربية او في عراقنا الحبيب ، لماذا لايوجد سياسو ن دهاة قادرين على قيادة الدفّة الى بر الأمان ؟
لماذا قياداتنا السياسية مترسخة لديهم قناعة انهم الأذكى والأفهم والأقدر على مجاراة الاحداث وفهمها وبالنتيجة نخرج مثخنين بالجراح بعد السير خلف مجموعة ممن لايملكون لا الرأي ولا الرؤية ؟
متى يعترفون انهم لايجيدون التعامل مع ادوات اللعبة السياسية ، وانهم منشغلون بتقاسم المناصب والمغانم ،
المشاركة في الانتخابات اللعبة الوحيدة التي يجيدونها وغش الجماهير بشعارات رنانة ووعود يصعب تنفيذها وان أمكن تنفيذها فلا أحد يسعى لذلك لأن عند نهاية موسم الانتخابات تنتهي صلاحية المواطن ولم يعد السياسي بحاجة لهُ !!
هذه حقيقتنا التي يخشى البعض افشاءها ، ويبقى متمسكاً بعروة غبائه الى مالانهاية ، ظروفنا الداخلية كارثية ومحيطنا الأقليمي ملتهب ودول الخليج لاتجيد استخدام طوق النجاة في اوقاته المناسبة ، وساسة العراق يعيشون حالة الانقسام المنهج وفق عقليات متخندقة يمثلها صغار القوم الحالمين والواهمين بأنهم قادرون على قيادة العراق وشعبة ، وفعلاً هنا اقولها بصوت عال هيهات فالعراقي صعب المراس ، ولن يقبل الا بالفرسان النبلاء الوطنيين اصحاب القيم العليا والشرف الرفيع لقيادته ، لن يقبل العراقي اليوم يتنافس عليه المتنافسون وكأنهُ بلا ثقافة ، بلا دراية ولايعرف مايدور حوله ، لقد غفل ساسة الصدفة على قراءة التاريخ وغفلوا قراءة كتب علم الاجتماع العراقي لعالم الاجتماع الراحل المرحوم علي الوردي ليطلعوا على حجم مزاجية المواطن العراقي ، وتمرده على الواقع المرير مهما طال او قصر الزمن ، نحن امام امتحان نهائي لقدرة ساسة العراق إيصال سفينة البلد الى برّ الأمان ، من خلال الوتيرة المتصاعدة للتهديدات الامريكية والإيرانية والسبل الكفيلة بالتعامل مع هذه الازمة بطريقة تحفظ حقوق العراق وشعبه ولاتسمح باستخدام ارض العراق للعدوان ضد اي بلد جار ، واذا تمكنوا من اطفاء تلك الفتنة من خلال لعب دور دبلوماسي كوسيط بين الدولتين (امريكا ، ايران) وخاصة ان العراق يعتبر جزءاً من ساحة التهديد والصراع كما يراه البلدان المتصارعان سيعطي أسبقية واهمية ومكانة راقية للدبلوماسية العراقية .
مابين الحق والباطل خيط رفيع !
ومابين الظلم والانصاف عدلٌ وحكمة ،
ومابين العقل والغباء فعلٌ حكيم ودور محوري ، اتمنى ان يكون لنا دور محوري مَبنّي على حكمة ومشورة خاصة بما يهم هذه الازمة المتصاعدة .
نحاول ان نُثبت للعالم من خلالها أداءنا المتميز اننا على قدر المسؤولية السياسية والاخلاقية واننا على قدر حمل اسم العراق وتمثيله بالمحافل ، وبقدر حكمة تشرشل الذي عاقب الشخص الذي تهجم عليه لكن بطريقة جعلت الجميع منبهراً بحكمته وقوة ادائه وعدم انهياره امام التجاوز الذي حصل عليه ، بعكس كثير من ساستنا الذين تهزمهم عبارات بسيطة تكتب على مواقع التواصل الاجتماعي ، وتثير شجونهم لتفتح لديهم قريحة السب والشتم متناسين انهم قادة مبتعدون عن الحكمة والحُلم بهكذا تصرف .
ارجوكم ساستنا العظام كونوا بحجم العراق وتصرفوا بحجم عراقة وتاريخ وتضحية هذا الشعب المُبتلى .
نريد ان تكونوا بمستوى وعقل ودهاء تشرشل وهذا قليل بحقكم ان احسنتم التصرف .

كامل كريم الدليمي
بغداد

مشاهدات غير رسمية من زيارتنا لتركيا

بالأمس شاركت في زيارة رسمية يرأسها السيد رئيس الوزراء الى تركيا ، وقد أحببت ان اعرض لكم بعض مشاهداتي غير الرسمية والصالحة للنشر :
1– الزيارة سريعة لم تستغرق اكثر من ست ساعات ذهبنا في الواحدة ظهرا ووصلنا بغداد الواحدة ليلا ، وستسألون لكنها اثنتا عشر ساعة فاقول لكم بان الزمن الباقي هو الوقت الذي قضته الطائرة في الرحلة ، وستسألون لماذا الواحدة ظهرا فسأجيب لكي يبقى الصائمون صياما ولايضطروا للإفطار حسب بعض المذاهب خصوصا واننا مدعوون لمأدبة افطار يقيمها الرئيس اردوغان على شرف السيد رئيس الوزراء ، اما انا فقد افطرت وساضطر لقضاء هذا اليوم .
2– تم تبليغ الوفد بكافة التفاصيل اين يقفون ، تسلسلهم ، اماكن جلوسهم في الطائرة حيث وضع اسم كل منا على مقعده المخصص ، رقم سيارة كل منا ، اسم الشخص المرافق من سفارتنا مع كل سيارة ، اين يقف رئيس الوزراء ، ماذا يقول للحرس الشرف التركي، اين يتم التقاط الصور وغيرها وغيرها من التفاصيل الدقيقة بتوقيتات محددة وقد دون كل ذلك في كتيب صغير وزع على الوفد ، وهو ماجعلني أشعر بان المراسم البروتوكولية قد تحسنت لحد كبير وان الفريق المحيط برئيس الوزراء يعرف عمله جيدا .
3– في اثناء الرحلة قام السيد رئيس الوزراء بمجاملة اعضاء الوفد واحدا واحدا . مر على مقاعدهم ودردش مع الجميع حتى صغار الموظفين وعقد اجتماعات قصيرة طوال الرحلة مع مسؤولي الملفات من الوزراء .
4– جرى لرئيس الوزراء استقبال رسمي مهيب من الدرجة A والذي يتضمن موكب الخيول والاطلاقات الواحدة والعشرين ، علما ان الاتراك عادة لايقيمون هذه المراسم لرؤساء الوزراء وانما تكون من الدرجة B ولكنه حدث ذلك مع العراق استثناء ، وقال لي اصدقائي من المسؤولين الاتراك بأن الشيخ خميس الخنجر هو من لعب هذا الدور في تغيير مراسم الاستقبال ، فتأكدت من ان الدبلوماسية غير الرسمية احيانا تلعب دوراً لايقل عن الجهود الرسمية .
5– مشاركتي في الوفد كانت لأني رئيس لجنة الصداقة البرلمانية العراقية التركية وقد وجدت بانتظاري اعضاء لجنة الصداقة من الجانب التركي وعقدنا اجتماعا غير رسمي على هامش الزيارة كان من بعض ثماره منح عدد من البعثات الدراسية للعراقيين في الجامعات التركية من خلال لجنة الصداقة البرلمانية وتم ذلك بحضور السيد رئيس هيأة التعليم الجامعي والسفير الذكي صاحب الشعبية فاتح يلماز .
6– أطول اجتماع كان منفردا بين الرئيسين ولم يحضره أحد ، وقد اطلعنا على بعض نتائجه في الاجتماع الموسع .
7– كان الرئيس اردوغان ودوداً مع الوفد العراقي ، وصريحا جدا في عرض قضايا بلاده واهتماماتها لحد التفاصيل الصغيرة وكذلك كان السيد رئيس الوزراء العراقي .
8– استغربت ان تركيا تستخدم سجادا تركوازيا وليس احمرا على خلاف العادة في البروتوكلات العالمية ، ولما سألت عن السبب فقالوا لان العلم التركي بلون أحمر ، فأكبرت فيهم هذه الروح القومية حتى وان كان فيها قدرا قليلا من المبالغة .
9– وكجزء من الثقافة العصملية راعى الاتراك قواعد اللياقة والضيافة بما فيها اننا وجدنا قلما انيقا موضوعا على طاولاتنا في الاجتماع الموسع وقد حفروا عليه اسم كل منا بشكل انيق كهدية تذكارية احتفظنا بها .. الاشياء الصغيرة تترك اثرا طيبا في النفس واحيانا هي أثمن من القضايا الكبيرة .
10– طرح العراق قضايا مهمة ومن بينها : الجانب الامني والموقف من الـ pkk مسألة التعاون المائي ، إطلاق الفيزا لكل العراقيين في المطار كما كان سابقا ، تذليل مشاكل العراقيين في تركيا ، رفع مديات التبادل التجاري ، دعوة الشركات التركية الكبرى للاستثمار في العراق ، التوتر الاقليمي في المنطقة وتأثيره على البلدين .
11– تم الاتفاق على تفعيل لجنة التنسيق العليا برئاسة اردوغان وعبد المهدي والمتوقفة منذ سنوات وستعقد جلستها الرابعة في بغداد في غضون شهرين لتوقيع الاتفاقيات التي سيتم الاعداد لها .
12– مأدبة الافطار كانت أنيقة وبسيطة ، والاكل التركي لذيذ جدا ، وطريقة التقديم تجري بنسق واحد كأن النادلين اعضاء في فرقة عسكرية .
13– بعد الافطار جاءت فرقة فنية للموشحات الدينية واستمعنا للتهليلات الصوفية التي خلقت جواً روحانيا قدسيا جعلت رؤوسنا تميل كأننا في ذكر نبوي ، وبعد الانتهاء التقط الرئيسان الصور التذكارية مع العازفين والمنشدين وجاملوهم بكل ودية .
14– حينما وصلنا بغداد نزل السيد رئيس الوزراء قبلنا ووقف بانتظارنا عند مدرج الطائرة ليصافحنا واحدا واحدا ، لتعكس منه لمسة انسانية وتهذيب عال .
15– أكثر ما أعجبني في الزيارة انها بلا حقائب مزعجة فقد ذهبنا خفافا وعدنا خفافاً ،، صياما مقبولا وافطارا شهيا بإذن الله .

ظافر العاني
بغداد

يا لخسارتنا الفادحة برحيل فوزي كريم

شكيب كاظم
بغداد

فجر الجمعة 17/من أيار/ مايو 2019،وانا اتصفح الصحف العربية الصادرة في لندن،هزني نعي الأديب العراقي الباذخ فوزي كريم في مغتربه اللندني،الاديب الذي عرفته منذ سنوات بعيدات (1963–1964)،كنا نرتاد مقهى فاضل في كرادة مريم،لغرض القراءة تحضيرا للامتحانات الوزارية،وكنت ارى مجموعة من الأدباء من زملائه،ولقدعجبت كيف انعقدت اصرةصداقة بين المشاكس الصاخب الشاعر شريف الربيعي،وبين الحيي الدمث الذي لا يكاد يسمع صوته فوزي كريم؟! وبقيت أتابع ما ينشره على مستوى الشعر والبحث، ومازلت محتفظا بأول كتبه (من الغربة حتى وعي الغربة) الصادر سنة 1972وكان العنوان نبؤة بحياته التي أمضاها متغربا،فضلا عن كتابه (ثياب الإمبراطور.الشعر ومرايا الحداثة الخادعة) أدرت عنه حديثا نقديا نشرته جريدة (الزمان) في 2007/2/20،كما تولى جمع نتاجات الأديب العراقي الذي بخسه النقد الادبي شأنه؛ ادمون صبري،الذي رحل إثر حادث اصطدام في الطريق الرابط بين الموصل وبغداد في 1979/3/25،كما قرأت كتابه (تهافت الستينيين.اهواء المثقف ومخاطر الفعل السياسي).

لقد اقتنيت مؤخرا كتابه (مدينة النحاس)،الذي يمثل حديثا في السيرة الذاتية للمؤلف،ينحو منحا السرد القصصي أو الروائي،وبينه وبين القصة أو الرواية أكثر من وشيجة.لغة فوزي كريم،جميلة ومكثفة،فهو على الرغم من عيشه في بلد الاغتراب منذ نهاية سنوات السبعين من القرن العشرين،ظلت لغته جميلة رقيقة،فضلا مزية التكثيف،فكتابته مختزلة من غير إخلال بعملية التوصيل.

يحدثنا فوزي كريم عن حياته في تلك المحلة الهادئة الغافية على كتف دجلة الخير،وبيتهم البسيط المطل على حقل النخيل الواسع الممتد نحو النهر،ظلت المحلة هادئة حتى طرأ عليها طارىء نهاية الستينات،هؤلاء الأغراب الذين جاءوا مدججين بالريبة والشك ودس الأنف في أمور الناس كلها،حتى في قصيدة يكتبها وعنوانها (وجه) في صديقه الشاعر عبد الأمير الحصيري،يظل أحدهم يطارده،يستوقفه وعلى وجهه إبتسامة من يخفي سرا،ابتسامة كانت تبعث الريبة والخوف في قلبه، يسأل بلهجة هامسة لاتنم عن حسن طوية ونية،لهجة خالية تماماً من الود الذي نالفه في الصوت الواضح الصريح.

لقد قالها؛قصيدته في عبد الأمير الحصيري،لكن صاحب الإبتسامة الشاحبة المرتابة،يظل يطارده بالسؤال عن الشخص الذي يقصده،هذا الإلحاح في الملاحقة والسؤال،يدخل الذعر إلى قلبه، ولأن الدنيا تغيرت وموازين الحياة اختلت،فقدقرر الرحيل وعبور الحدود.

إنه يؤرخ لما اهمله التاريخ، يقف عند الأمور الحياتية الصغيرة،التي كانت جزءا من الحياة الثقافية في عقدي الستين.

والسبعين من القرن العشرين،يستعيد ذكرى (مقهى المعقدبن)،الذي يصر الشاعر وليد جمعة (المشهداني) على تسميتها (كهوة ابراهيم)!،كان يفضل الجلوس على مقاعده الخارجية،بعيدا عن لغط المقهى ، يرقب المارة ومحتسيا على مهل شاي ابراهيم المتميز،كما يستذكر مشرب (كاردينيا)الذي خصه بكتاب حمل عنوان (العودة إلى كاردينيا).

وإذ نقرأ كتابه (مراعي الصبار) الصادرة طبعته الأولى سنة 2015،وقد أهداه (إلى عبد الستار ناصر.الصديق الذي رحل) فإن الفصل الذي حمل الكتاب عنوانه (مراعي الصبار) يستوقف القارىء طويلا،هو حديث شفيف مداف بالألم والأسى عن صديقه الشاعر المشاكس شريف الربيعي، وارهاصات المرض الوبيل الذي ألم به،المتمثلة بالقيء وإحساس سريع الزوال بالعجز عن الحركة.

لقدافصح عن إمكانات تعبيرية عالية،وقدم لنا صورا مؤثرة عن مرض شريف الربيعي،وحتى النزع الأخير ومغادرة الحياة في العاشر من ايلول/ سبتمبر 1997وكان آخر ماصدر لفوزي كريم كتابه (القلب المفكر.القصيدة تغني ولكنها تفكر أيضاً)،الصادرة طبعته الأولى عن دار المتوسط بميلانو الإيطالية سنة 2017،يدرس فيه القصيدة المفكرة؛ قصيدة الأفكار،وهو يرى فقر الإرث الشعري العربي منذ أيام الجاهلية بهذا اللون من القصيد،وحتى ايامنا الحاضرة،واحتفاء القصيدة العربية بالمهارة اللفظية على حساب المحتوى والمضمون، وهو الذي أفاض فيه نقادنا القدامى والمحدثون،حتى إن الجاحظ إنحاز إلى إلى قصيدة الشكل واللفظ لأن المعاني—كما يرى— مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني،وانما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك.

وهذا الكتاب الذي قلت في شأنه لا يقدم على قراءته إلا قارىء يفكر،فهذا الناثر من طراز فريد،تجلي وتجلو نثره وتزينه ثقافة واسعة،وينماز بأسلوب اسر– كما يصفه الدكتور حسن ناظم– بحاجة إلى مثل هذا القارئ؛ قارىء يفكر.

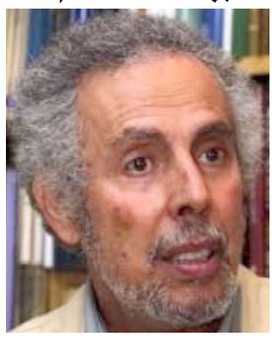

فوزي كريم